الجبان ابن سلمان... في انتظار من يحارب عنه!

بقلم: فيصل التويجري

في مشهد يبدو متكرراً، أعلن التحالف السعودي الاماراتي عن تنفيذ غارات جوية "نوعية ودقيقة" على أهداف عسكرية حوثية في صنعاء ومناطق أخرى، غير أن الواقع على الأرض ينطق بخلاف ذلك، حيث لم يسقط خلال هذه الهجمات سوى المدنيون. ولم يكتفي التحالف المزعوم بالضربات الجوية بل أجج المعارك على مختلف جبهات القتال من ضمنها مدينة الحديدة التي كانت ليومين مضت تنفذ فيها عملية انتشار جديدة للقوات الحوثي من جهة والقوات التحالف السعودي من جهة أخرى برعاية أخرى.

فتح الجبهات أجج المخاوف الدولية من تجدد الحرب الشاملة في هذا البلد في ظل وضع إقليمي ملتهب، وأثر سقوط المدنيين اتهمت الرياض الحوثيين بمهاجمة منشئاتها النفطية بأوامر إيرانية وبأنهم يضعون حسبما قال نائب وزير الدفاع السعودي الأمير خالد بن سلمان حبل المشنقة على الجهود السياسية لإنهاء الصراع في اليمن الا أن الصور الآتية من صنعاء تبرز أن الرياض هي من تلف المشنقة حول الجهود وحول رقبتها أيضاً.

فعدما تقصف الرياض اليمن عليك بسرعة توقع وقوع مجازر ومأساة إنسانية، ففي وسط صنعاء وفي حي سكني لا ثكنة عسكرية لجماعة الحوثي أو سواها، أما الضحايا فأسرة كاملة وآخرون وثلاثة أطفال على الأقل. ولا تنبئ الصور من قريب أو بعيد بأن رواية التحالف على شيء من الدقة، فحسب التحالف فإن الضربات جاءت بناءً على معلومات عسكرية واستخباراتية وتلك تفيد وفقا لهم بأن ثمة قواعد ومنشآت عسكرية ومخازن أسلحة وذخيرة لجماعة الحوثي هنا وعلى ضوء ذلك تحركت المقاتلات وقصفت بل وحققت أهدافها بدقة كما قال التحالف.

لكن لا شيء هنا يؤكد وثمة ما هو أكثر فما حدث وفق منظمة إفني الدولية جريمة حرب تستدعي مساءلة بل مثولا أمام محكمة الجنايات الدولية. وتساءلت المنظمة "لماذا فعلت السعودية وأبو ظبي ما فعلته؟" وهنا نقول إنه ثمة نرجسية عسكرية جريحة هنا، لقد أهينت المملكة قبل أيام قليلة وحسب، فالحوثيون وهم مجرد مسلحين ليسوا جيشا جرارا قصفوا منشآت نفطية وسط السعودية، وقبل ذلك بيوم واحد فقط تلقت دولة الإمارات واحدة من أسوأ الضربات في تاريخها، فقد استهدفت أربع سفن قبالة الفجيرة من دون أي رد عسكري مقابل.

وامام كلا الهجومين، بدا كأن الشلل أصاب قادة البلدين فما عرفوا بما يتوجب عليهم فعله ينتظرون ردا من ترمب أم يعترفون بأن ثمة معادلة جديدة تفرض في المنطقة وقد تكون أكبر مما ألفوا وخططوا. يردّون وأين ذلك هو السؤال، وان عدنا بالتاريخ الى الوراء والى الفيلم الترويجي الذي أنتجته الرياض قبل نحو عام فإن الرد يجب أن يكون داخل الأراضي الإيرانية هناك ينتصرون ويحتلون طهران نفسها ويعتقلون الجنرال قاسم سليماني الذي يظهره الفيلم الترويجي وهو يرتجف، ويقود تلك الحرب الظافرة محمد بن سلمان على أن ذلك حدث في الواقع الافتراضي لا الحقيقي.

فأي دلالة للرد الحقيقي حين يكون ضد الحوثيين فيخفق، ذلك يعني أن السعودية تساوي نفسها بالحوثيين فإذا هي أقل من أن تحارب هي وحليفها في أبو ظبي إيران المتهمة بالتخطيط وإصدار الأوامر. وإذا صح هذا فإنه اعتراف بالعجز الذي يدخل الدول كما الأفراد في حالة إنكار مزمنة تنتهي بطلب النجدة من الخارج بالتزامن مع تجاهل ما يحدث الضرر للنفس.

فالهجومان قرب الفجيرة والرياض سرعان ما جاء في مفهوم الأمن الدولي وذلك يعني إعفاء النفس من واجب الرد ما يفسر تأخر أي رد سعودي أو إماراتي رسمي على الهجومين ولاحقا مصارعة ولي عهد أبو ظبي لزيارة القاهرة لا إلى الرياض. فهل هو هروب للأمام أم محاولة إحياء لمقولة مسافة السكة التي قيلت وندفع من أجلها الكثير.

في الختام، ان الخليج الآن لا يختبر مقولات، بل السياسات وقد أوصلت إلى حافة الهاوية وثمة من لا يزال على نهجه القديم يقصف بإفراط في اليمن فلا يضعف الحوثيين بل يخلف وراءه الكثير من الضحايا المدنيين، ويتوسع في الحديدة والضالع قصفا ووعودا بينما هو وفقا لمنتقديه عاجز حتى عن حماية بيته ومنشآته الحيوية في انتظار من يحارب عنه وينتصر وإذا فعل فإن ثمة أثمانا باهظة ربما تهون أمامها الهزائم لو وقعت.